

## تمييز الدخيل في تفسير القرآن الكريم

الدكتور عبد القادر محمد الحسين

كلية الشريعة

جامعة دمشق

### الملخص

يتناول هذا البحث ما دخل في علم التفسير وليس منه مما كان مشتبهاً، وهو الذي عرفه العلماء باسم الدخيل، وكيف نَمِيزُ بينه وبين الأصيل المستكمل للشروط الموضوعية التي وضعها علماء هذا الفن، كما يذكر بعض الأمثلة لأصناف الدخيل بشكل موجز، سواء كان التفسير لكتاب الله تعالى من قبيل الرأي أو من قبيل الرواية، ويبين الخطوط العريضة لتمييز هذا النوع الخطر من الخطأ الذي تسرب إلى كتاب الله تعالى سواء كان بقصد أم بغير قصد.

## أولاً - المبحث التمهيدي

### المطلب الأول - أهمية الموضوع

هناك تفاسير كثيرة للقرآن الكريم، كثير منها مستوف لشروط التفسير؛ فهو وإن لم نستطع القطع بأنه مراد الله ﷻ يبقى اجتهاداً سائغاً مقبولاً يجب العمل به حتى يثبت خلافه، ينال صاحبه أجرين إن وافق الصواب في علم الله تعالى، وإن كان خطأ فهو معذور ينال أجراً واحداً مقابل الاجتهاد واستفراغ الوسع في درك مراد الله بحسب الطاقة البشرية، ولكن هناك تفاسير كثيرة لم تحقق الشروط الموضوعية للقبول؛ فهي خطأ واضح تسرب إلى تفسير القرآن، لكنها قد تكون ملتبسة بالصواب ومشابهة له فوجب التصدي لغريبة ذلك التراث التفسيري، وقد كان همّ كثير من الهيئات العلمية التصدي لهذا النوع الذي عرف بالدخيل؛ ولكن كثيراً من الباحثين كان همّه منصرفاً إلى التفسير الذي هو من قبيل الرواية وخصوصاً الإسرائيلية دون غيرها حتى لا يكاد يدرس في كثير من المؤسسات العلمية الشرعية سوى هذا النوع؛ في حين الدخيل الذي يعدّ من قبل الرأي لا يقل خطورة عن الأول، وقد كثر هذا الثاني مغلفاً بعناوين القراءات المعاصرة أو التجديد أو الحدائث وخاصة في المدة الأخيرة، وقد كثرت الدراسات في الدخيل القائمة على غريبة التفاسير السابقة، وهذا ما نلاحظه بوضوح في الدراسات الأكاديمية في الأزهر الشريف ونحوه؛ إذ نجد كتب التفسير القديمة توزع على طلاب الدراسات العليا لفرز الدخيل عن الأصل؛ إلا أن الدراسات التأصيلية في هذا الباب قليلة نسبياً؛ وهذا بحث يرسم الخطوط العريضة لقواعد تمييز الدخيل عن الأصل سواء من قبل الرأي أو من قبل الرواية. (1)

(1) نذكر هنا أن من أجل الأعمال في هذا الباب كتاب العلامة الشيخ الدكتور محمد بن محمد أبو شهية رحمه الله الإسرائيلي والموضوعات في كتب التفسير، وهذا الكتاب كما يظهر في عنوانه يتحدث عن الإسرائيليات والموضوعات، وهو عمدة من كتب في باب الدخيل، وهو المرجع الأهم في الجامعات التي تدرس مادة الدخيل كجامعة الأزهر الشريف والجامعات التي نسجت وتنسج على منوالها، ومن يقرأ الكتاب يرى أنّ العمل منحصر في الدخيل، الذي جاء من قبل الرواية دون الرأي، وهو كتاب نافع ماتع في بابه، لكن هذا الكتاب جل اهتمامه في الجانب التطبيقي دون التأصيلي، راجع مثلاً: ص، 159 إلى آخر الكتاب، ط. مكتبة السنة، الرابعة. وهذا الكتاب يعدّ عمدة في هذا الباب فهو أول من فتح هذا الباب على حد علمي، والشيخ رحمه الله ليس ملوماً بل كان موضوعياً فهو لم يخرج مضمون كتابه عن العنوان، ولكن من جاء بعده وإن اعتمدوا على الشيخ في المادة العلمية والمنهج من حيث الجملة تكاد تنحصر دراساتهم للجانب المروي، وممن نسج على منواله:

1- الدخيل في تفسير القرآن الكريم (في جزأين) الدكتور عبد الوهاب عبد الوهاب فايد.

2- الدخيل في التفسير "للأستاذ الدكتور إبراهيم خليفة.

3- أصول الدخيل في تفسير أي التنزيل"، لجمال مصطفى عبد الحميد عبد الوهاب النجار.

وهذا النوع من البحوث ذات الصبغة التأصيلية لتمييز الدخيل الذي اختلط بالأصيل، له أهمية عظمى يعرفها كل من خاض ويخوض غمار تفسير كتاب الله تعالى، وتتخصص أهمية هذا النوع من البحوث فيما يأتي:

1- الكم الهائل من التفاسير لكتاب الله العظيم فهو لا جرم أعظم كتاب عرفته الدنيا ولم يلق كتاب في الدنيا سواء كان دينياً أو منسوباً إلى الدين أو كتاباً دنيوياً من وضع البشر هذا القدر من الاهتمام بشرحه وتفسيره، ولكن هذه الكثرة الكاثرة من الكتب -في كثير من الأحيان- كانت مختلطة ببعض الدخيل الذي يعكّر صفو الأصيل منها.

2- إن العقلية التي كانت تحكم المؤلفين في سالف الزمان قد تغيرت الآن؛ وذلك أن كثيراً من تلك الكتب التفسيرية ولاسيما ذات الصبغة الأثرية كانت محكومة بقواعد التحديث؛ فهم يعتمدون الأسانيد ثقة بمعرفة القارئ لهذه الكتب بقواتين الرواية والجرح والتعديل بحسب القانون المعروف لديهم آنذاك: (من أسندك فقد حملك) فالعمدة على الأسانيد فما على القارئ إلا أن يطلع على الإسناد فما كان صالحاً قبله وما كان غير ذلك طرحه، ولمّا كانت هذه الخبرة ضعفت في المدة الأخيرة حصل لدى الباحثين ضعف في التمييز فربما اشتبه الدخيل بالأصيل على كثير منهم، ومما زاد الطين بلة حذف الأسانيد في كثير من المرويات التفسيرية، مما أوجب تأكيد بيان ضوابط الأصيل التي تخرج الدخيل.

3- انتشار القراءات المعاصرة التي لا تلتزم ضوابط التفسير وهذا قد ولد بدوره مصدراً جديداً للدخيل، وهو ما كان يعبر عنه في الزمان الماضي بالرأي المذموم. ما سبق كله كان السبب لكتابة هذا البحث لجمع ما يتميز به الدخيل عن الأصيل في بحث موجز يركّز على أمهات القضايا في هذا الباب دون التشعب في الجزئيات بحسب رؤية الباحث معتمداً على ما سطره علماء الإسلام والهيئة العلمية لخدمة كتاب الله العظيم.

4- الدخيل في تفسير القرآن الكريم". للأستاذ الدكتور عبد الفتاح خضر.

5- الدخيل في تفسير الإمام ابن جرير الطبري" د. إبراهيم بركة.

6- الدخيل والاسرائيليات في تفسير القرآن الكريم، د. سمير عبد العزيز شليوبي.

وهذا غيض من فيض وما على الباحث إلا أن ينظر في سجل الرسائل المسجلة في الجامعات الإسلامية كالأزهر مثلاً حتى يرى كثيراً من الدراسات التي تحمل في عنوانها كلمة الدخيل إذ درجت بعض الجامعات على تقسيم كتب التفسير وتوزيعها على الباحثين في مرحلتها الماجستير والدكتوراه لتكون عنواناً لرسائلهم وأطروحاتهم، وهي كما قلت يغلب عليها الجانب العملي التطبيقي وليس النظري التأصيلي، كما أنّ الاسرائيليات بشكل خاص كانت طاعية على هذا النوع من الدراسات، وستقوم هذه الدراسة إن شاء الله بتجلية الجانب التأصيلي لتمييز الدخيل سواء كان من قبيل الرأي أو الرواية.

## المطلب الثاني - تعريف الدخيل ومفهومه: (1)

الدخيل في اللغة صفة مشبهة مأخوذة من الفعل دخل، والدخول ضد الخروج، والدخيل لا يكون إلا مخالطاً للأصيل، فالدخيل والدخال الذي يداخل الإنسان ويخالطه في أموره، و الدَّخِيلُ يطلق على الضَّيْفِ والنَّزِيلِ؛ لدُخُولِهِ على المَضِيْفِ، ومنه حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (2) عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا تُؤَدِّي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الحُورِ العِينِ لَا تُؤَدِّيهِ قَاتِلِكَ اللهُ فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ يُوْشِكُ أَنْ يُفَارِقَكَ إِنِّيْنَا» (3).

كما يطلق على فرس بين فرسين في الرهان ومنه حديث عن أبي هريرة (4) أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَدْخَلَ فَرَسًا بَيْنَ فَرَسَيْنِ وَلَا يَأْمَنُ أَنْ تُسَبِّقَ فُلَيْسَ بِقِمَارٍ، وَمَنْ أَدْخَلَ فَرَسًا بَيْنَ فَرَسَيْنِ وَقَدْ أَمِنَ أَنْ يُسَبِّقَ فَهُوَ قِمَارٌ» (5).

- (1) - راجع : مادة [دخل] في لسان العرب، للإمام محمد بن مكرم بن منظور المتوفى سنة 711هـ، ط.أدب الحوزة، إيران سنة 1409هـ، وراجعها أيضاً في تاج العروس من جواهر القاموس، للإمام محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، المتوفى سنة 1205 هـ، ط.المطبعة الخيرية، سنة 1306هـ، القاهرة.
- (2) - معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس، أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي الإمام المقدم في علم الحلال والحرام من علماء الصحابة الكرام شهد المشاهد كلها وأمّره النبي ﷺ على اليمن ، وكانت وفاته بالطاعون في الشام سنة سبع عشرة أو التي بعدها، راجع:الإصابة في تمييز الصحابة، 136/6، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، المتوفى سنة 852هـ، ط.دار الجيل، سنة 1412 - 1992م بيروت.
- (3) - أخرجه الإمام الترمذي في آخر كتاب الرضاع ، باب رقم 19، وَقَالَ عَنْهُ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ. سنن الإمام الترمذي، 476/3، برقم 1174، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، المتوفى سنة 261هـ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت.
- (4) - عبد الرحمن بن سخر النوسي على الأصح وفي اسمه واسم أبيه اختلاف كبير، هو راوية الإسلام وأحفظ الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وكان إسلامه بين الحديبية وخيبر قدم المدينة مهاجراً وسكن الصفة، وكانت وفاته في المدينة سنة 57 أو 58هـ، راجع:الإصابة في تمييز الصحابة، 428/7وما بعدها.
- (5) - أخرجه الإمام أبو داود، كتاب الجهاد، باب في المحلل، سنن الإمام أبي داود، 35/2، برقم 2579، للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، المتوفى سنة 275 هـ، ط0 دار الفكر، هذا في رهن الخيل، والأصل فيه أن يسبق الرجل صاحبه بشيء مسمى على أنه إن سبق لم يكن له شيء، وإن سبقه صاحبه أخذ الرهن، فهذا هو الحلال؛ لأن الرهن إنما هو من أحدهما دون الآخر، فإن جعل كل واحد منهما لصاحبه رهناً أيهما سبق أخذه، فهذا القمار المنهي عنه فإن أراد أن يدخل بينهما شيئاً ليحل لكل واحد منهما رهن صاحبه جعلاً بينهما فرساً ثالثاً لرجل سواهما، وهو الذي ذكر في الحديث وهو الذي يسمى المحلل، راجع مثلاً: الذخيرة، 464/3، تأليف الإمام شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي ، ط، دار الغرب، 1994م، بيروت، والمغني، 1314/1، تأليف الإمام عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبي محمد ، ط دار الفكر - بيروت الطبعة الأولى، 1405هـ، وحاشية رد المحتار على الدر المختار ، 403/6، تأليف الإمام المحقق محمد أمين عابدين، المتوفى سنة 1250هـ ط.دار الفكر، 1421هـ بيروت. والحديث قد صححه الحاكم في مستدركه ووافقه الذهبي على ذلك، راجع:المستدرک بتعليق الذهبي، 890/1، المستدرک على الصحيحين ، للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المتوفى سنة 405هـ، ط دار الكتب العلمية سنة 1411م 1990هـ بيروت.

فالدخيل ضد الأصيل، ومنه قول الفقهاء في الشفاعة: إنها شرعت لدفع ضرر الدخيل عن الأصيل.<sup>(1)</sup>

كما نلاحظ أن الجذر اللغوي [دخِل] يدل في بعض استعمالاته على الذم؛ فالدَخَل: ما داخَلَ الإنسان من فساد في عقل أو جسم، والدَخَل العيب والغش والفساد، وقد دَخَلَ دَخْلًا ودُخِلَ دُخْلًا، فهو مَدْخُولٌ أي في عقله دَخَلٌ، وفي حديث قتادة بن النعمان<sup>(2)</sup> أنه قال: «...وكنت أرى إسلامه مَدْخُولًا». <sup>(3)</sup> يعني أن إيمانه كان فيه نفاق، ودَخِلَ أمره دَخْلًا: فسد داخله، ونَخَلته مَدْخُولَةً أي عَفَنَةَ الجَوْفَ، والدَخَل: العيب والريبة، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ﴾ [النحل94] يعني خديعة ومكرًا، أو غشًا بينكم وغلاً.<sup>(4)</sup>

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: <sup>(5)</sup> الدَخَل كناية عن الفساد والعداوة المستبطنة كالدخَل وعن الدعوة في النسب؛ فيقال دخل فلان فهو مدخول كناية عن بله في عقله وفساد في أصله، والدَخَل في الإبل أن يدخل إبلًا في أثناء ما لم تشرب لتشرب معها ثانيًا.<sup>(5)</sup> واستعمال الدَخيل في اصطلاح أهل العربية شائع قديم؛ قال صاحب العين: (.ولكن ألقناه ليُعرف صحيح بناءً كلام العرب من الدخيل). <sup>(6)</sup> وهناك العديد من الكتب تناول الدخيل في العربية، بل ربما كان الهدف الأول من تأليف معاجم العربية تمييز الأصيل من الدخيل.<sup>(7)</sup>

- (1) - راجع: تحفة الفقهاء ج3/ص49، للإمام علاء الدين السمرقندي المتوفى سنة 539هـ، طدار الكتب العلمية، بيروت.
- (2) - قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر الأوسي ثم الظفري أخو أبي سعيد الخدري لأمه صحابي جليل مشهور يكنى أبا عمرو الأنصاري ويكنونه أبا عبد الله وقيل كنيته أبو عثمان، شهد بدرًا، مات في خلافة عمر<sup>رضي</sup> صلى عليه ونزل في قبره وعاش خمسًا وستين سنة، راجع: الإصابة في تمييز الصحابة، 416/5.
- (3) - أخرجه الإمام الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة النساء، برقم 3036، 244/5.
- (4) - راجع: مادة [دخِل] في لسان العرب.
- (5) - الراغب الأصفهاني هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، من كتبه: محاضرات الأدباء، الذريعة إلى مكارم الشريعة والأخلاق وجامع التفسير والمفردات في غريب القرآن وحل متشابهات القرآن، توفي سنة 502 هـ، راجع: الأعلام 588/1، تأليف خير الدين الزركلي، طدار العلم للملايين، الخامسة، 1980م، بيروت.
- (6) - كتاب العين، المنسوب للإمام أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة 175 هـ، ط. مؤسسة دار الهجرة، الثانية، سنة 1409 هـ.
- (7) - هناك عدد من الكتب ظهر في اسمها مصطلح الدخيل منها على سبيل المثال لا الحصر: كتاب شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، للإمام القاضي شهاب الدين المعروف بالخفاجي الأديب الحنفي المتوفى سنة 1069 هـ، وكتاب قصد السبيل فيما في لغة العرب من الدخيل، للإمام محمد أمين بن فضل الله بن محب الله بن محب الدين محمد بن أبي بكر تقي الدين بن داود الحموي المعروف بالمحبي الحنفي المتوفى سنة 1111 هـ، وكتاب طراز المذهب في الدخيل المعرب تأليف محمد بن يوسف الحلبي المعروف بنهالي المتوفى سنة 1186 هـ، راجع: هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين: 86/1 و108/2 و124/2، تأليف اسماعيل باشا البغدادي ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

وما ذكرنا كله في تعريف الدخيل هو في لغة العرب، ولا يختلف معناه الاصطلاحي كثيراً عن معناه اللغوي، ومن أوائل من صرح بهذا المصطلح الإمام السيوطي<sup>(1)</sup> رحمه الله إذ قال: (.ثم أُلّف في التفسير خلائق فاختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال بترأ، فدخل من هنا الدخيل، والتبس الصحيح بالعليل..).<sup>(2)</sup> وقد تابع العلماء الإمام السيوطي على هذا، وإن كنا لا نستطيع الجزم بأن السيوطي ذكره هنا على سبيل الاصطلاح العلمي.

لاحظنا مما سبق:

- 1- أن الدخيل ضد الأصيل.
  - 2- أن الدخيل مختلط بالأصيل ومشتبه به.
  - 3- ويمكن أن نضيف ملاحظة أخرى أن استخدام هذا اللفظ قد يشعر بالإدانة والذم.
- وعليه فيمكن لنا أن نعرف الدخيل بأنه ما تسرب إلى تفسير القرآن الكريم مما لم يستجمع شروط التفسير.

وهذا يقودنا إلى تعريف التفسير الصحيح المستوفي للشروط.

المطلب الثالث - تعريف التفسير ومفهومه وشروط التفسير الأصيل:

وأما التفسير في اللغة فمن فسر، والفسر معناه البيان، قال ﷺ: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان -33] والفسر: كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، والفسر: نظر الطبيب إلى الماء، وكذلك التفسرة. وقيل: التفسرة البول الذي يستدل به على المرض وينظر فيه الأطباء يستدلون بلونه على علة العليل، وكل شيء يعرف به تفسير الشيء ومعناه، فهو تفسرته.<sup>(3)</sup>

(1) - هو الإمام الحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضير السيوطي، جلال الدين، من المكثرين جداً في التأليف في علوم شتى له أكثر من 600 مصنف، من أشهرها: الإتيان في علوم القرآن) والتجبير لعلم التفسير والدر المنثور توفي سنة 911 هـ. راجع: الأعلام/1/976.

(2) - الإتيان في علوم القرآن، ج2/ص500، تأليف الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة 911 هـ، ط. مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، الأولى، سنة1387هـ، القاهرة.

(3) - راجع: مادة [فسر] في لسان العرب وأيضاً: في القاموس المحيط، للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي الشيرازي، المتوفى سنة 817 هـ ط0 الهيئة المصرية للكتاب، 1977م.

قال الطّوْفِي<sup>(1)</sup>: أَمَّا التّفْسير: فهو تفعيل من فسّرت النّورة<sup>(2)</sup> إذا نضحت عليها الماء؛ لتتحلّ أواخرها، وينفصل بعضها من بعض، وكأنّ التّفْسير يفصل أجزاء معنى المفسّر بعضها من بعض؛ حتى يتأتّى فهمه والانتفاع به، كما أنّ النّورة لا يتهدّب الانتفاع بها إلا بتفصيل أجزائها بتفسيرها<sup>(3)</sup>.

وفي هذا إشارة إلى ما يقوم به المفسّر من تحليل جزئيات النص المراد تفسيره من الجهات جميعها لنصل إلى حقيقة المراد منه.

التفسير اصطلاحاً: هناك العديد من التعريفات للتفسير التي ذكرها علماء هذا الشأن نذكر منها على سبيل المثال:

قال الإمام الزّركشي<sup>(4)</sup>: التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه<sup>(5)</sup>.

وعرفه آخرون بأنه: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية<sup>(6)</sup>.

هذان تعريفان من التعاريف التي ذكرها العلماء لعلم التفسير، وهي كما نلاحظ تقرب معنى التفسير دون أن تحده بطريقة جامعة مانعة.

(1) - هو سليمان بن عبد الله ابن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري نجم الدين أبو الربيع البغدادي الحنبلي المعروف بابن السوقي توفي سنة 716 هـ. من كتبه: الإشارات الإلهية والمباحث الأصولية في التفسير والإكسير في قواعد التفسير، راجع: هدية العارفين/1/447.

(2) - النورة نوع من الأحجار الكلسية كانت تستعمل في إزالة الشعر.

(3) - الإكسير في علم التفسير، ص 28، تأليف الشيخ نجم الدين سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري البغدادي، المتوفى سنة 716 هـ، ط. مكتبة الآداب، القاهرة 1397 هـ.

(4) - هو الإمام محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: فقيه شافعي أصولي، تركي الأصل، مصري المولد والوفاة توفي سنة 794 هـ له كتب كثيرة: منها البرهان في علوم القرآن، والبحر المحيط في أصول الفقه، وتشنيف المسامع بشرح جمع الجوامع. راجع: الأعلام/6/1759.

(5) - البرهان في علوم القرآن، ج1/ص13، تأليف الإمام أبي عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، المتوفى سنة 794 هـ، ط. دار المعرفة، سنة 1391 هـ، بيروت.

(6) - مناهل العرفان في علوم القرآن، ج2/ص4، تأليف الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، ط. دار الفكر، الأولى سنة 1996م، بيروت.

هذا وينبغي أن ننبيه إلى أن طائفة من العلماء أحجموا عن تعريفه وحجّتهم أن التفسير ليس من العلوم التي يتكلف لها حد؛ لأنه ليس قواعد أو ملكات ناشئة من مزاولة القواعد كغيره من العلوم، ويكفي في إيضاح التفسير بأنه بيان كلام الله، أو أنه المبين لألفاظ القرآن ومفهوماتها.<sup>(1)</sup> ونلاحظ أن هؤلاء قد اكتفوا بالمعنى اللغوي للتفسير .

كما نلاحظ أن هذه التعاريف تنصرف إلى الملكات وإلى القواعد العلمية التي بها يفسر القرآن، وليس إلى المعلومات التي نشأت عن هذا العلم، والتفسير الذي نريده هنا ليس القواعد والملكات؛ إنما الناتج الذي حصل بعد إعمال تلك القواعد، فنحن نريد بالتفسير المعلومات التي نشأت عن مزاولة تلك القواعد، أي كما نقول هذا تفسير الطبري أو القرطبي أو الزمخشري... إلخ.

وأقرب ما يناسب هذا من التعاريف للتفسير ما ذهب إليه الإمام ابن جزى الكلبي: بأنه شرح القرآن، وبيان معناه والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو فحواه.<sup>(2)</sup>

فهذا هو التفسير الذي يمكن أن يتسرب إليه الدخيل أي نفس المشروح المبين وليس العلم الذي يبحث فيه عن معاني كلام الله تعالى، أمّا ذلك العلم بقواعده فهو المرجع والفيصل الذي نحتكم إليه في تمييز الأصيل من الدخيل.

#### ما شروط التفسير الأصيل؟

درج المتأخرون من المصنّفين إلى تقسيم التفسير إلى قسمين: التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، أو بعبارة أخرى التفسير إمّا رأي وإمّا رواية، ويمكن أن نجمل شروط كل منهما بعبارة جامعة: ما كان رواية فهذا لا يقبل إلا إذا صحّ إسناده إلى مصدره، وما كان رأياً فلا بدّ فيه من حجة قويّة ساطعة وخلوه عن معارض وفق القاعدة الذهبية التي أسسها علماء البحث والمناظرة المسلمون: "إذا كنت ناقلًا فالصحة أو مدعيًا فالدليل".<sup>(3)</sup>

(1) — راجع: التفسير والمفسرون، ج1/ص12، تأليف: الدكتور محمد حسين الذهبي، ط. مكتبة وهبة، السابعة 1421هـ.

(2) — كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، ج1/ص6، تأليف الإمام محمد بن أحمد بن جزى الكلبي الغرناطي، المتوفى سنة 792هـ، ط. دار الفكر، بيروت.

(3) — راجع: شرح الولدية في آداب البحث والمناظرة، ص117، تأليف السيد عبد الوهاب بن حسين بن ولي الدين الأمدي، ط. مصطفى البياي الحلبي، الأخيرة، سنة 1380هـ، القاهرة.

وبهذا يتبين لنا الدخيل في كلا النوعين، فالدخيل في التفسير المأثور يكون خلله في الرواية؛ فالرواية إما موضوعة أو ضعيفة، والدخيل في التفسير بالرأي يكون خلله في الحجة فإما أن يكون دعوى بلا دليل، أو بدليل ضعيف أو داحض.

هذا وينبغي التأكيد أن هذه القسمة باعتبار الغالب؛ فلا يوجد تفسير بالرأي المحض؛ إذ الرأي المجرد لا يعني والتفسير به حرام؛ لأن هذا العلم دين والأصل فيه الاتباع لا الابتداع، وكذا الرواية لا بد لها من رأي من أجل فهمها والاستنباط منها، كما قال الإمام الجليل محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله: (لا يستقيم العمل بالحديث إلا بالرأي، ولا يستقيم العمل بالرأي إلا بالحديث).<sup>(1)</sup>

ولهذا قد يعسر الفصل الدقيق بين ما هو رأي وما هو مأثور؛ لأن الحدود بين النوعين ليست حادة جداً في بعض الأحيان؛ ولذلك سنسير على الخطوط العامة العريضة في أثناء بيان الدخيل الذي قد يتسرب إلى كل من النوعين.

## المبحث الثاني - الدخيل من قبل الرواية:

### المطلب الأول - الإسرائيليات:

من الأسباب التي أدت إلى ذهاب الثقة في كثير من التفسير بالمأثور كثرة الإسرائيليات؛ فهي من أعظم أودية الدخيل في التفسير حتى كاد بعض المعاصرين يقتصر عليها في أثناء بحثه للدخيل كما أسلفنا في المقدمة<sup>(2)</sup>، والمراد بالإسرائيليات اللون اليهودي والنصراني وما تأثر به تفسير القرآن الكريم من الثقافتين اليهودية والنصرانية.<sup>(3)</sup> فدخول هذه الروايات الإسرائيلية قد أفسد كثيراً من التفسير<sup>(4)</sup>؛ فالنقل عن بني إسرائيل دسياسة دخلت في ديننا.<sup>(5)</sup>

(1) - أصول السرخسي، ج2/ص113، تأليف الإمام شمس الأئمة أبي بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي، المتوفى سنة 490هـ، ط دار المعرفة سنة 1372هـ، بيروت. وراجع: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، ص212، تأليف الشيخ مصطفى عبد الرزاق، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، الثالثة القاهرة.

(2) - مثل كتاب الشيخ الدكتور محمد أبو شهبه التي سبق ذكره.

(3) - راجع: التفسير والمفسرون، ج1/ص121، وعلوم القرآن الكريم، ص75، تأليف الدكتور نور الدين عتر، ط مطبعة الصباح، السادسة، سنة 1416هـ، دمشق.

(4) - لأن بعض من ينقلها من المفسرين يعلق عليها ويفندها، كما أن القسم الموافق لشرعنا من هذه الإسرائيليات لا يضر ذكره؛ لأنه من قبيل التأكيد للأدلة الشرعية، أما القسم الذي يخالف شريعتنا وعقيدتنا فهذا هو المرفوض وهذا هو الذي أفسد التفسير، وهو الذي حذر منه العلماء.

(5) - راجع: الفوز الكبير في أصول التفسير، ص99، تأليف شاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي المتوفى سنة 1176هـ، ط دار قتيبة، 1409-1989م، دمشق.

والسبب في دخول الاسرائيليات هو تشوّف السّابقين وتشوقهم إلى معرفة تفاصيل القصص القرآني<sup>(1)</sup>، وهي ثلاثة أقسام: (6)

الأول – ما علمنا صحته مما يشهد له ما بأيدينا بالصدق، سواء في الكتاب أو في السنة، وفائدته إقامة الحجّة عليهم من كتبهم ، وذلك مثل: ما ذكر في صاحب موسى عليه السلام، وأنه الخضر فقد ورد في الحديث الصحيح<sup>(2)</sup>، ومثل ما يتعلق بالبشارة بالنبي ﷺ ورسالته ﷺ . (3)

الثاني – ما علمنا كذبه قطعاً، وهو ما يخالف ديننا، وهذا مردود تحريم روايته إلا لتفنيده وردّه، ومن أمثلته ما ذكره في قصص الأنبياء، من أخبار تطعن في عصمة الأنبياء عليه الصلاة والسلام، ومثل: ما ذكره في توراتهم: من أن الذبيح إسحاق لا إسماعيل ، فهذا لا تجوز روايته وذكره إلا مقترنا ببيان كذبه ، وأنه مما حرفوه ، وبدلوه. (4)

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفُنِيهَا وَعَزَّتِي فِي الْخُطَابِ ﴾ (ص23)

إذ يذكر بعض المفسرين أن المراد أن سيدنا داود عليه كان له تسع وتسعون امرأة وعشق امرأة قائد الجيش "أوريا" فأرسله إلى معركة ليقتل من أجل أن يتزوج امرأته، ذلك كله باطل ولا يثبت. (5)

ولا يستقيم مثل هذا بحق الصّالحين من النّاس فضلاً عن أنبياء الرّحمن تبارك وتعالى فوجب رده.

ج – ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا تكذبه وتجوز حكايته.

والدليل لذلك ما ثبت عن أبي هريرة ؓ أنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمناً بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم الآية. (6)

(1) – راجع: مقدمة ابن خلدون، 439-440، تأليف الإمام عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، المتوفى سنة 808 هـ، ط دار القلم ، الخامسة ، سنة 1984 م بيروت.

(2) – أخرجه البخاري عن ابن عباس، كتاب التفسير باب ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَاتِهِ لَأُبْرَخَ .. ﴾ برقم 4725، 88/6، الجامع الصحيح للإمام محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة 256 هـ ط دار ابن كثير – اليمامة ، الثالثة، 1407 هـ ، بيروت.

(3) – الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، أبو شهبة: ص135.

(4) – راجع السابق: ص136.

(5) راجع: السراج الوضّاء في بيان الصحيح من أقوال العلماء في قصص الأنبياء، ص58، تأليف الشيخ عبد الهادي الخرسة، ط. الأولى 1431 هـ – 2010م دمشق.

(6) – أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة – باب قول النبي لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، ، ، 111/9، برقم 7362.

وكذلك ما ثبت عن عبد الله بن عمرو<sup>(1)</sup> رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار.<sup>(2)</sup>

فهذان الحديثان يدلان على الموقف الحق من أخبار بني إسرائيل، فلا هي تعتمد مطلقاً، ولا تردّ مطلقاً، إنّما ينظر إليها من خلال ديننا كما أوضح العلماء ذلك استنباطاً من الحديثين.

وهذا الكلام وإن كان متفقاً عليه من حيث الجملة إلا أن كثيراً من المفسرين تساهل في هذا الشأن فرويت كثير من الأباطيل الإسرائيلية في مواطن المنع الشديد من روايتها، وهي ما علم كذبه قطعاً، وأخطرها ما يجرح العقيدة الإسلامية؛ ولاسيما تقديس الأنبياء وعصمتهم وما يقدر في منصب النبوة كقصة صخر المراد التي رواها ابن جرير الطبري ثم تبعه ابن كثير وغيره.<sup>(3)</sup>

وكذلك يجب الحذر من تلك الأخبار التي تشتمل على القصص الغريبة، المبالغ فيها؛ إذ هي أقرب إلى الخرافة، ولاسيما تلك التي تحتوي على مبالغات مهولة، إذ إن ذلك من سمات الوضع.<sup>(4)</sup>

(1) - عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي السهمي كنيته أبو محمد عند الأكثر ويقال أبو عبد الرحمن وهو من علماء الصحابة، قيل مات بمكة وقيل بالطائف وقيل بمصر ودفن في داره مات سنة تسع وستين وهو بن اثنتين وسبعين وقيل مات سنة ثمان وستين، راجع: الإصابية في تمييز الصحابة، 192/4 وما بعدها.

(2) - أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء - باب ما ذكر عن بني إسرائيل، 170/4، برقم 3461.

(3) - وذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص 34] زعموا أن قوة سليمان في خاتمته، وأنه كان إذا أراد أن يدخل الخلاء أو الحمام لم يدخل بخاتمته، فانطلق يوماً إلى الحمام والشيطان صخر معه، وذلك عند مقارفة ذنب قارف فيه بعض نساؤه، قال: فدخل الحمام، وأعطى الشيطان خاتمته، فألقاه في البحر فالتقمته سمكة، ونزع ملك سليمان منه، وألقى على الشيطان شبه سليمان، قال: فجاء فقع على كرسيه وسريره، وسلط على ملك سليمان كله غير نساؤه، قال: فجعل يقضي بينهم، وجعلوا ينكرون منه أشياء حتى قالوا: لقد فتن نبي الله، وفيها وفي روايات هذه القصة ما لا يليق بمنصب النبوة؛ إذ زعموا أن ذلك الشيطان قد تسلط على نساء سليمان وأنه كان يأتيهن وقت الحيض، وأشبه هذا الأكاذيب.. راجع: جامع البيان جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ج 23/ص 157-158، للإمام محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة 310هـ، ط 0 دار الفكر سنة 1405هـ، وتفسير القرآن العظيم، ج 4/ص 35 وما بعدها، وكذلك الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج 7/ص 180، تأليف الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة 911هـ، ط دار الفكر، بيروت.

(4) - وذلك كقصة عوج بن عنق، وما يروى من أعاجيب عن عظم خلقته وأن طوفان نوح وصل إلى حجزته فقط لو أنه عاش ثلاثة آلاف سنة، وأنه كان يتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس! وأمثال هذه الخرافات المضحكة الممجوجة، ومع ذلك تعرض لذكره كثير من المفسرين ما بين مستشهد بها وما بين مكذب بها، راجع مثلاً: جامع البيان، ج 6/ص 185، الجامع لأحكام القرآن، ج 6/ص 126، ج 17-133، تفسير القرآن العظيم، ج 2/ص 39-41، معالم التنزيل، ج 2/ص 20، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغدادي، المتوفى سنة 516هـ، ط دار المعرفة، الثانية، سنة 1407هـ 1987م، بيروت.

## المطلب الثاني - محاولات تعيين ما أبهمه القرآن:

ساق القرآن كثيراً من أخبار الأمم السابقة لتكون عبرة لنا قال ﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف - 111] ولحكم كثيرة منها: تسهيل القرآن وحفظه، وأن لا ينشغل الناس بتفاصيل القصة عن الاعتبار بها.. أبهم القرآن كثيراً من تلك التفاصيل، ومع هذا ولع كثير من المفسرين بالبحث عن تلك المبهمات مخالفين بذلك مقصد القرآن الأهم فوقعوا في الدخيل وركبوا كل صعب وذلول بحثاً عنها، ولعل هذا هو السبب الأساس الذي دعاهم إلى الاستعانة بالإسرائيليات التي سبق الحديث عنها، قال ابن تيمية: (وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في هذا كثيراً، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعدتهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت؟ وأسماء الطيور التي أحيها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القليل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى، إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دينهم، ولا دنياهم).<sup>(1)</sup>

وهذه المبهمات التي لم نطلع عليها ولا سبيل إليها إلا بخبر الصادق المعصوم ﷺ، لا يجوز الخوض فيها؛ لأنها من القول على الله تعالى بغير علم وهو من الافتراء على الله تعالى الذي تعاضدت نصوص القرآن العظيم والسنة المطهرة على التحذير منه، ومع هذا خاض بعض المفسرين في ذلك وحاولوا تعيين كل ما أبهم في القرآن وقد حاول السيوطي جمع شيء من ذلك في كتابه الإتيقان كما أن له كتاباً مفرداً أسماه مفحمت الأقران في مبهمات القرآن.<sup>(2)</sup>

ولا يعني هذا أن كل مبهم عيّن من الدخيل ابل إن المقصد أن هذا من مظان الدخيل وأوديته؛ وهذا ما طريقه النقل فإن كنت ناقلاً فالصحة، والدخيل من هذا القبيل ما لم يصح إسناداً.

## المطلب الثالث - الروايات الموضوعية والواهية:

نشأ الوضع في التفسير بادئ ذي بدء متزامناً ومقترباً مع نشأته في الحديث؛ لعدم انفصال أحدهما عن الآخر بادئ ذي بدء، وكذلك مرويات التفسير كانت تأخذ حكم مرويات الحديث صحة وضعفاً،

(1) - مجموع الفتاوى، ج 13/ص 367، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المتوفى سنة 728هـ، ط الرياض.

(2) - راجع: الإتيقان في علوم القرآن، ج 1/ص 406.

وكذلك الرواة فمنهم الثقة ومنهم المجروح، والجرح درجات، فمنهم من تكلموا في حفظه ومنهم من رمي بالكذب والافتراء. (1)

وقد تعددت أسباب الوضع، من نفاق يبطن كفرًا ويروج الكذب، أو بسبب التعصب المذهبي، أو بسبب الجهل، مما سبب ضياع كثير من تراث مفسري السلف؛ لأن ما أحاط به من شكوك أفقد الثقة به، فجعل العلماء يردون كل رواية تطرق إليها شيء من الضعف، حتى لو كانت صحيحة في ذاتها. (2)

وقد أدى ظهور الوضع إلى قيام علوم الحديث ولاسيما علم الجرح والتعديل وعلم مصطلح الحديث التي من خلالها قام العلماء المسلمون بغريلة الوارد وتمحيصه، مما لم يعرف له مثال سابق في تاريخ الأمم، ومما ساعد على الوضع ظاهرة حذف الأسانيد في التفسير خصوصاً دون الأحاديث وقد شاعت هذه الظاهرة جدا حتى قال الإمام أحمد رحمه الله مقولته المشهورة: (ثلاثة ليس لها أصل: التفسير والملاحم والمغازي). (3)

فالتفسير بدءاً من مقاتل بن سليمان كثر فيه حذف الإسناد مما أفقد الثقة في كثير منه؛ فالإسناد كالتسبب، والخبر بلا إسناد منقطع النسب. (4) وهذا منبع الدخيل في التفسير بالمأثور، قال الإمام السيوطي: (.ثم ألف في التفسير خلائق فاختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال بتر، فدخل من هنا الدخيل، والتبس الصحيح بالعليل، ثم صار كل من يسنح له قول يورده، ومن يخطر بباله شيء يعتمده، ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ظاناً أن له أصلاً...). (5)

(1) - راجع: التفسير والمفسرون، ج1/ص115.

(2) - راجع: السابق، ج1/ص116-117.

(3) - الإتيان في علوم القرآن، ج2/ص471، يكاد يكون اتفاق بين العلماء أن هذه المقولة ليست على ظاهرها وإنما هي مبالغة تظهر ما آل إليه التفسير بالمأثور من كثرة الموضوعات والضعيف، أمّا حقيقة ما يعني الإمام أحمد للعلماء أقوال عديدة في توجيهها لا يناسب المقام سردا ههنا، راجع مثلاً: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج2/ص162، تأليف الإمام أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي، المتوفى سنة 463هـ، ط. مكتبة المعارف، سنة 1403هـ، الرياض.

(4) - فتفسير مقاتل هذا موجود بين أيدينا فيه أخبار عجيبة غريبة في تفسير القرآن وكثير منها منسوب إلى ابن عباس أو ابن مسعود أو غيرهم من الصحابة والتابعين ولكن دون إسناد!

(5) - الإتيان في علوم القرآن، ج2/ص500، قلت: إذا كانت تلك الأقوال التي عرض بها السيوطي مرفوعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو موقوفة على أحد من أصحابه فلا يعتد بروايتها إلا بسند معتبر، أمّا إذا كانت أقوالاً تذكر في المسألة ولا ترفع، فقد تكون اجتهادات من أصحابها على سبيل التفسير بالرأي، فينظر فيها وإلى مدى موافقتها لقواعد التفسير بالرأي، وبناء على ذلك تقبل أو ترد.

#### مثال على الدخيل من هذا القبيل

الأمثلة على هذا كثيرة ومن أبرزها قصة زواج النبي ﷺ من السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها التي ذكرها بعض المفسرين في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (الأحزاب/37)

فقد روى بعض المفسرين أن رسول الله ﷺ ذهب إلى بيت زيد في غيبته، فرأى زينب في زينتها، وفي رواية: أن الريح كشفت عن ستر بيتها، فرآها في حسانها، فوقع حبها في قلبه فرجع وهو يقول: سبحان الله العظيم، سبحان مقلب القلوب، فلما حضر زيد أخبرته بكلام رسول الله، فذهب زيد وقال: بلغني أنك أتيت منزلي، فهلما دخلت يا رسول الله، لعل زينب أعجبتك فأفارقها؛ فقال له رسول الله: أمسك عليك زوجك، واتق الله، فنزلت الآية. (1)

وهذه الرواية باطلة ليس لها من شاهد من نقل ولا عقل وهي من وضع أعداء الدين ولم يذكر هذه الرواية إلا المفسرون والإخباريون دون إسناد صحيح، ولم يوجد شيء من ذلك في كتب الحديث المعتمدة التي عليها المعول عند الاختلاف، والذي جاء في الصحيح يخالف ذلك، وليس فيه هذه الرواية المنكرة. (2)

#### المطلب الرابع - التفسير المبني على قراءة ضعيفة أو موضوعة:

إن القراءة الصحيحة لا جرم يجب اعتمادها في تفسير القرآن الكريم بها، وهذا من قبيل تفسير القرآن بالقرآن الذي هو أعلى درجات التفسير؛ فالقراءات أبعاض القرآن، ولكن في كتب التفسير قراءات ضعيفة أو موضوعة لا يحل تفسير القرآن الكريم بها ومن أمثلة القراءة الضعيفة في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مِصْبِيَّةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴾ وَلَنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لِيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (النساء/72-73)

(1) - الكشاف عن حقائق التنزيل وعبور الأقاويل في وجوه التأويل 548/3، تأليف أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى سنة 538 هـ، طدار إحياء التراث العربي - بيروت.  
(2) - راجع: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، أبو شهبه، ص 410.

حيث جاءت قراءة: ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ بضم اللام بإعادة الضمير إلى معنى (من) لأن قوله لَمَنْ لَيُبَيِّنَنَّ في معنى الجماعة. (1)

قال الفخر الرازي رحمه الله: (إلا أن هذه القراءة ضعيفة لأن (من) وإن كان جماعة في المعنى لكنه مفرد في اللفظ وجانب الأفراد قد ترجح في قوله: ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ﴾ وفي قوله: ﴿وَبَيَّنَّهُ مَوْدَّةً يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (2)

قلت: ما ذكره الرازي رحمه الله هنا على سبيل الحكمة وليس العلة؛ فليس الرأي كافياً لرد القراءة وتضعيفها؛ فالقراءة سنة متبعة.

ومن القراءات الموضوعية أو المنكرة ما جاء عن بعضهم في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ (الأعام 148) فالقراءة الصحيحة المتواترة بتشديد الذال من قوله: ﴿كَذَّبَ﴾ ومعناها واضح لا إشكال فيه، وهناك قراءة موضوعية لا أصل لها بتخفيف الذال قال الزمخشري: (وقرىء: كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف). (3)

هي قراءة موضوعية أو شاذة يعني شاذة شذوذاً شديداً ولم يروها أحد عن أحد من أهل القراءات الشاذة، ولعلها من وضع بعض المعتزلة في المناظرة. (4)

### المبحث الثاني - الدخيل من قبل الرأي:

هناك فسحة في تفسير القرآن الكريم لأهل الاجتهاد والنظر؛ وذلك ما عرف بالتفسير بالرأي وهو الذي يكون بالمقتضى من معنى الكلام العربي والمقتضب من قوة الشرع. (5) وله شروطه المعروفة عند أهل العلم، وهذا هو الذي دعا به النبي ﷺ لابن عباس في قوله: (اللهم فقهه في الدين وعلمه

(1) - مفاتيح الغيب، 143/10، تأليف الإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي المتوفى سنة 606، ط. دار الكتب العلمية، الأولى، بيروت - 1421هـ - 2000 م.

(2) - مفاتيح الغيب، 143/10.

(3) - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج 2/ص 73.

(4) - التحرير والتنوير، 149/8، تأليف الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ط. دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - 1997 م.

(5) - البرهان في علوم القرآن، ج 2/ص 161.

التأويل).<sup>(1)</sup> وعن أبي جحيفة<sup>(2)</sup> أنه قال: قلت لعلي<sup>(ع)</sup> هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله قال: (لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن...).<sup>(3)</sup>

وذلك لأن الرأي قسمان: قسم جار على كلام العرب مع الالتزام بسائر شروط التفسير، وهذا لا بد منه بل هو ضروري، قال الشاطبي: (إن الكتاب لا بد من القول فيه ببيان معنى، واستنباط حكم، وتفسير لفظ وفهم مراد، ولم يأت جميع ذلك عن تقدم، فأما أن يتوقف دون ذلك فتتعطل الأحكام كلها...).<sup>(4)</sup> وقسم غير مستوفٍ لشروط التفسير، فهذا هو الدخيل.

ويمكن لنا أن نذكر أبرز أمثلة الدخيل من قبل الرأي فيما يأتي:

### المطلب الأول - مخالفة السنة الصحيحة الثابتة عن سيدنا رسول الله ﷺ

إن سيدنا محمدًا رسول الله ﷺ هو أفهم الناس للقرآن؛ إذ عليه أنزل وهو المكلف ببيانه فإذا صح عنه شيء فلا يصح العدول عنه بحال من الأحوال.

ومن أمثلة الدخيل الذي يكون من هذا القبيل ما ذهب إليه بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة - 6] إذ قالوا: بأن الواجب هو مسح القدمين في الوضوء وليس الغسل، وهذا التفسير مردود لمخالفته السنة الصحيحة، قال ابن تيمية: (ومن يقول يمسحان بلا إسالة يمسحهما إلى الكعاب لا إلى الكعبين فهو مخالف لكل واحدة من القراءتين كما أنه مخالف للسنة المتواترة

(1) - أخرجه الإمام الحاكم في مستدركه، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم - باب ذكر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما ، ، 2276/1، برقم 6280، وقال عنه : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، وأقره الذهبي على صحته، كما أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة - باب ذكره ﷺ لابن عباس بالحكمة ، ، 531/15 ، برقم 7055، للإمام أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي المتوفى سنة 354 هـ، ط0 مؤسسة الرسالة ، الثانية 1993هـ 1414 م ، بيروت، وأصل هذا الحديث في الصحيح، راجع : صحيح البخاري، كتاب الوضوء - باب وضع الماء عند الخلاء، 66/1.

(2) أبو جحيفة السوائي اسمه وهب بن عبد الله بن مسلم بن جنادة بن حبيب بن سواء السوائي بضم السين المهملة وتخفيف الواو والمد بن عامر بن صعصعة قدم على النبي ﷺ في أواخر عمره وحفظ عنه ثم صحب عليا بعده وولاه شرطة الكوفة لما ولي الخلافة، مات سنة أربع وستين ، ، راجع:الإصابة في تمييز الصحابة، 626/6.

(3) - أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير - باب فكاف الأسير ، 69/4، برقم: 3047.

(4) - الموافقات في أصول الشريعة ، ج3/ص421، للإمام إبراهيم بن موسى اللخمي الفرناطي الشاطبي المالكي المتوفى سنة 790هـ ، ط0 دار المعرفة ، بيروت

وليس معه لا ظاهر ولا باطن ولا سنة معروفة وإنما هو غلط في فهم القرآن وجهل بمعناه وبالسننة المتواترة... ومن مسح على الرجلين فهو مبتدع مخالف للسننة المتواترة<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثاني - مخالفة الإجماع

كما أنه لا يجوز مخالفة ما ثبت عن المعصوم ﷺ كذلك لا يجوز مخالفة الأمة؛ إذ هي أمة معصومة، والإجماع الذي نعنيه هنا ليس الدعوى التي قد تذكر في كتب الخلاف في المسائل المختلف فيها أصلاً، إنما نعني به سبيل المؤمنين المذكور بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء - 115] وهذا النوع من الإجماع الذي نريده هو ما وصفه الإمام الشافعي ﷺ بأنه: (علم عامة لا يسع بالغا غير مغلوب على عقله جهله، مثل الصلوات الخمس، وأن لله على الناس صوم شهر رمضان، وحج البيت إذا استطاعوه، وزكاة في أموالهم، وأنه حرم عليهم الزنا، والقتل والسرقه، والخمر، وما كان في معنى هذا، مما كلف العباد أن يعقلوه، ويعلموه.. وهذا الصنف كله من العلم موجود نصاً في كتاب الله، وموجود عاما عند أهل الإسلام ينقله عوامهم عن من مضى من عوامهم، يحكونه عن رسول الله ولا يتنازعون في حكايته.. وهذا العلم العام الذي لا يمكن فيه الغلط من الخبر ولا التأويل ولا يجوز فيه التنازع)<sup>(2)</sup>.

وقد ازدادت الجراة على خرق الإجماع وخاصة في المدة الأخيرة فدخلت أنواع خطيرة من الدخيل تستهدف ثوابت الإسلام، ومن أمثلة ذلك بعض ما سمي بالقراءات المعاصرة كذلك التي جاءت لتفسير قوله تعالى: ﴿السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة 38) إذ قال صاحبها الدكتور محمد شحرور تحت عنوان قراءة الآية حد السرقه: (أمامنا مثال على وجوب القراءة الثانية لكتاب الله، هو عقوبة السارق، التي سيوضح بقراءتنا لها ثانية أنها عقوبة حدودية وليست حدية، أي إن لها حداً أعلى وحداً أدنى، وأن معظم أهل الأرض ملتزمون بها بفطرتهم دون أن يسمعوا بالآية، وأن التشريع الإسلامي تشريع مدني إنساني يتحرك ضمن هذه الحدود... فإذا نظرنا في لفظ السارق، نجد أنها وردت بصيغة اسم الفاعل من فعل سرق التي تدل على

(1) - دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، 27/3، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحاراني أبو العباس المتوفى سنة 728هـ، ط. مؤسسة علوم القرآن، سنة النشر 1404هـ، دمشق.

(2) - الرسالة، ص 356-357، للإمام الجليل أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، المتوفى سنة 204هـ، مطبوع سنة 1358هـ، القاهرة.

دوام وطول ممارسة الفاعل لهذا الفعل، كقولنا كاتب. ونفهم أنه سبحانه يعني السارق الذي داوم على السرقة ومارسها طويلاً حتى أصبحت مهنة له، ويحدد له جزاءه ذكراً كان أم أنثى بقطع الأيدي. ونفهم أنه تعالى لا يعني أبداً الإنسان الذي سرق مرة واحدة، لأنه لو عنى ذلك لقال (ومن يسرق)... فالقائلون بالبتير يوجبونه على الذي يسرق، منطلقين من عموم الآية بشرطها وجزائها فالقائلون بالبتير يوجبونه على الذي يسرق، منطلقين من عموم الآية بشرطها وجزائها. ورغم أن الوجوب يشمل الأيدي، إلا أن انعقاد الإجماع أخرج الآية من العموم إلى الخصوص فصار البتير لليديين بدءاً باليمنى وليس للأيدي عموماً.<sup>(1)</sup>

فصاحب هذه القراءة مع اعترافه بإجماع علماء المسلمين يخالفه قصداً ويذهب إلى أن السارق ليس مجرد من سرق مرة أو مرتين، بل يعني السارق الذي داوم على السرقة ومارسها طويلاً حتى أصبحت مهنة له، وهذه هي المخالفة الأولى للإجماع، أما المخالفة الثانية فرغم أنها عقوبة حدودية وليست حدية، أي إن لها حداً أعلى وحداً أدنى.

وما ذهب إليه هذا المعاصر باطل لمخالفته الإجماع وهذه وحدها كافية لرد تفسيره والحكم عليه بأنه دخيل؛ ثم إن التعليل الذي ذكره ليس صحيحاً في اللغة، فمن قال إن الإنسان لا يوصف بأنه سارق إلا إذا اتخذ السرقة سلوكاً؟! إن المبالغة في السرقة يقال لصاحبها سارق، ثم إن الألف واللام هنا موصولية، والفاء في معنى الشرط بحسب القاعدة الأصولية الشهيرة: تعليق الحكم على وصف مشتق يؤذن بعلية ما منه الاشتقاق، قال الزمخشري: (ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لأن المعنى والذي سرق والتي سرفت فاقطعوا أيديهما والاسم الموصول يضمن معنى الشرط).<sup>(2)</sup>

### المطلب الثالث – الخطأ اللغوي

إن القرآن العظيم قد نزل بلسان العرب قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف-2] وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء-195]، فمن أراد فهمه فلا سبيل له إلى ذلك إلا بلسان العرب؛ وكل تفسير لا يلتزم بقواعد العربية وضعاً واستعمالاً يعدُّ من الدخيل، وأمثلة هذا كثيرة جداً نكتظ بها كتب التفسير. ومن تلك الأمثلة: ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة 74)

(1) – الموقع الرسمي للدكتور محمد شحرور على الشبكة الدولية: [www.shahrour.org](http://www.shahrour.org).

(2) – الكشاف، 1/664.

إذ جعل بعضهم إن المشددة بمنزلة ما النافية قال أبو حيان رحمه الله: (وأما من زعم أن إن المشددة هي بمعنى ما النافية ، فلا يصح قوله ، ولا يثبت ذلك في لسان العرب).<sup>(1)</sup>

### المطلب الرابع - الخلل في تحكيم العقل

العقل نوعان عقل برهاني لا يختلف فيه وهو المبادئ الذهنية الأولى، وهي القواعد التي لا تقبل الخلاف بحال كقانون العلية ومبدأ عدم التناقض ونحوها.. فهذه المبادئ لم تثبت التجارب فحسب، وليس لها أن تنقضها في يوم من الأيام؛ إذ هي وهبية مركوزة في فطرة الذهن البشري، وعليها قام نظام الكون بأمر خالقه ﷻ فإليها المرجع والمنتهى.<sup>(2)</sup>

وعقل نسبي هو عبارة عن استحسانات نسبية تختلف باختلاف المتغيرات من أزمنة إلى أمكنة إلى أشخاص إلى أحوال؛ فالعقل الأول الذي هو قانون الله تعالى الذي أقام عليه الكون هو مرجع يستند إليه الشرع في إثباته ولا يمكن أن يخالفه بحال، أما العقل الثاني فالشرع جاء موجهاً له حتى لا يضل عن جادة الصواب، وفي الحقيقة هذا عقل نسبي قائم على الاستحسانات البشرية، وربما دخلت فيه شهوات النفوس فلا عبرة بهذا العقل إذا خالف الشرع؛ لأن الشارع الحكيم أعلم بمصالح الناس من أنفسهم.

ولكن قد يحصل خلط بين النوعين فيزعم المفسر الاحتكام إلى العقل فيحكم إلى العقل النسبي القابل للتغيير فيعامله معاملة العقل القطعي؛ فيجعله حكماً فيكون سبباً من أسباب الدخيل، ومن أمثلة هذا ما يفعله العلمانيون اليوم من تعسفات في تأويل القرآن العظيم.

ومن أمثلة ذلك تأويلات د.نصر حامد أبو زيد لنصوص القرآن بحجة تطور العقل البشري إلى ما يفرغها من معانيها الحقيقية ويحوّلها إلى مجرد أوام كانت مرتبطة بأذهان الناس في مرحلة تاريخية سابقة تجاوزها العقل البشري بتطوره إذ قرّر: (أن العودة إلى الإسلام لا تتم إلا بإعادة تأسيس العقل في الفكر والثقافة، وذلك على خلاف ما يدعو إليه الخطاب الديني المعاصر من تحكيم النصوص).<sup>(3)</sup>

(1) - تفسير البحر المحيط، 225/1، تأليف تأليف الإمام أبي حيان الأندلسي المتوفى سنة 745هـ، ط، دار الفكر، بيروت.

(2) - راجع : موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين ، ج2/ص327وما بعدها . تأليف العلامة الشيخ مصطفى صبري، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

(3) - نقد الخطاب الديني ، ص102، دكتور نصر حامد أبو زيد ، ط مكتبة ميثولي ، الثالثة ، سنة 1995 م القاهرة .

ثم جاء يطبق هذه القاعدة فقال عند ذكره لقول الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتَلَوُ الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة 102) قال: (السحر والحسد والجن والشياطين مفردات في بنية ذهنية ترتبط بمرحلة محددة من تطور الوعي الإنساني، وقد حول النص الشياطين إلى قوى معوقة، وجعل السحر أحد أدواتها لاستلاب الإنسان..) إلى أن قال: (وليس ورود كلمة الحسد في النص الديني دليلاً على وجودها الفعلي الحقيقي، بل هو دليل على وجودها في الثقافة مفهوماً ذهنياً).<sup>(1)</sup>

فقد لاحظنا هنا أن العقل الذي يريد الكاتب تحكيمة هو العقل النسبي المتغير وليس العقل القطعي البرهاني؛ فلا يلزم من إثبات وجود الجن والشياطين والحسد حقيقة محال عقلي، ولكن العقلية الماركسية التي لا تعترف بعالم الغيب وتقتصر الإيمان على عالم الشهادة تستبعد هذا؛ ولذلك أول هذه الأشياء تأويلات تتسق مع استحسانات نفسه وإن كانت بعيدة كل البعد عن الحقيقة العقلية البرهانية التي تحكم بالطريقة الآتية: هذا خبر واضح جداً من مخبر ثبت صدقه قطعاً بالدليل البرهاني هو الرسول ﷺ عن إله ثبت وجوده قطعاً بأدلة العقول القطعية؛ فلا يجوز فهمه إلا بما دلت عليه اللغة التي جاء بها.

### المطلب الخامس - الإلحاد في تفسير القرآن بحمله على غير معناه

من أخطر أنواع الدخيل الذي يكون من هذا الباب ما كان من قبيل الإلحاد في تفسير القرآن وهو بالميل المقصود عن معنى الآية الحقيقي وحملها على معنى آخر، وهذا نوع من التلاعب في الدين قال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا﴾ (فصلت - 40)

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هو أن يوضع الكلام على غير موضعه.<sup>(2)</sup>

وقد كثر هذا في تفسير أهل الأهواء والبدع بدءاً من الخوارج، وقد بلغ أشده في تفاسير الباطنية.

(1) - نقد الخطاب الديني، ص 212.

(2) - راجع: جامع البيان في تأويل أي القرآن، ج 42/ص 153.

قال الشيخ الدكتور أبو شهبة رحمه الله: (وهي تخريفات، وتخريفات للقرآن الذي أنزله الله بلسان عربي مبين، وصرف له عن ظاهره المراد لغة وشرعاً، وهؤلاء أضر على الإسلام من أعدائه، والعدو المداجي المتستر بالتشيع، أو التصوف ونحوه شر من العدو المكاشف، المستعلن، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه الفئات الضالة، المضلة المحرفة لكتاب الله).<sup>(1)</sup>

ومن أمثلة ذلك ما نقله جلال السيوطي رحمه الله عن شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني رحمه الله فتواه في رجل قال في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة - 255] إن معناه من دلّ أي من الدل، ذي إشارة إلى النفس يشف من الشفا جواب من، ع أمر من الوعي فأفتى بأنه ملحد.<sup>(2)</sup>

### المطلب السادس - مخالفة معهود العرب

إن اللّغة قد تستجد لألفاظها معان جديدة لا تكون مقصودة لمن تكلم بمثل الكلام في الزمان الماضي؛ لذا لا يجوز حمل ألفاظ القرآن على غير معانيها إبان نزول الوحي، ويجب الاحتراز مما طرأ على معانيها من تطور في الاستعمال، قال الشاطبي: (لا بدّ في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم؛ فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثم عرف فلا يصح أن يجرى في فهمها على ما لا تعرفه، وهذا جارٍ في المعاني والألفاظ والأساليب).<sup>(3)</sup> وهذا لا يعني الاقتصار على أفهامهم، بل مناهجهم في فهم الخطاب وأساليبه ومعاني المفردات التي كانت شائعة عندهم.

ومن الدخيل الذي جاء من هذا القبيل ما نجده الآن من بعض المتخصصين في العلوم الكونية من مجازفات وإقحام للنصوص في غير مجالها مع الابتعاد عن معهود العرب في فهم الخطاب، ومن أمثلة ذلك ما قاله الدكتور محمد شحرور في تفسيره المعاصر لقوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ﴿عَشْرٌ﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿الْفَجْرِ/1-2-3﴾

(1) - الإسرا ئيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 95.

(2) - الإيقان في علوم القرآن، ج 2/ص 486 وراجع: التعبير في علم التفسير، ص 326، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة 911 هـ، ط دار المنار، الأولى، سنة 1406 هـ، القاهرة.

(3) - الموافقات، ج 2/ص 82، وراجع: الفوز الكبير، ص 45، واتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، ص 678، تأليف الدكتور محمد إبراهيم شريف، ط دار التراث، الأولى، سنة 1402 هـ، 1982 م، القاهرة.

إذ قال: (قلنا إن قانون صراع المتناقضات الداخلي في الشيء نفسه، يؤدي إلى تغير الصيرورة بشكل مستمر وهلاك شيء وظهور شيء آخر. وهذا القانون حتمي لا رد له، ويسير باتجاه واحد، فهو لذلك قدر الموجودات كلها الذي يعبر عنه بالتسبيح. فالخلق الأول بدأ بانفجار كوني هائل حيث قال: (والفجر \* وليال عشر \* والشفع والوتر). (الفجر 1-2-3) إذ إن الفجر هو الانفجار الكوني الأول، (وليال عشر) معناه أن المادة مرت بعشر مراحل للتطور حتى أصبحت شفافة للضوء، لذا أتبعها قوله: (والشفع والوتر) إذ إن أول عنصر تكون في هذا الوجود وهو الهيدروجين وفيه الشفع في النوواة والوتر في المدار).<sup>(1)</sup>

ولا شك أن هذا التفسير المعاصر مخالف تمام المخالفة لمعهود العرب في فهم الكلام فالفجر بمعنى الانفجار الكوني والليالي بمعنى مراحل تطور المادة، والشفع والوتر هو الهيدروجين هذا أمر لم يكن معهوداً للعرب وقت التنزيل، بل ولا حتى العرب يومنا هذا، فما الفجر عند العرب إلا بزوغ نور النهار بعد ظلمة الليل وما الليل إلا غياب نور الشمس وهو ما يقابل النهار، أمّا تفسيرها بهذه الطريقة الرمزية العجيبة فشيء لا يعرفه إلا الخيال الواسع لصاحب القراءة المعاصرة.

### المطلب السابع - شغل الناس عن هداية القرآن

كذلك رأينا بعض الناس وخاصة في المدة الأخيرة يشغل الناس عن هداية القرآن العظيم وهي المقصد الأساس لتنزيهه؛ ليدخلهم في معادلات رياضية أو يقحم القرآن في غير مجاله، أو يضخم قضية العدد وما سمي بالإعجاز العددي، إلى قضايا لا تمت إلى القرآن بصلة، وقد رأينا بعضهم يحاول أن يستنبط الإشارة إلى أحداث أيلول من خلال أرقام الآيات ونحو ذلك.

إذ فهم بعضهم من قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَاتَهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة - 109] أن تدمير البرجين كان في الحادي عشر من الشهر التاسع، والبرجان في الشارع رقم 109، أي يوافق رقم الآية.

وهذا الكلام غير دقيق وغير علمي؛ فأرقام الصفحات والآيات ذلك كله طارئ محدث، ثم إن عد الآي مختلف فيه كما هو معروف لدى علماء القرآن.<sup>(2)</sup>

(1) - الموقع الرسمي للدكتور محمد شحور على الشبكة الدولية: [www.shahrou.org](http://www.shahrou.org).

(2) - راجع: نقد التفسير العلمي والعددي المعاصر للقرآن الكريم، ص 105 وما بعدها، تأليف الدكتور أحمد الفاضل، ط. دمشق.

ومن أبرز أمثلة الإعجاز العددي المزعوم، بل لعله أول عمل في هذا الشأن كتاب الدكتور رشاد خليفة الذي هو بعنوان: "عليها تسعة عشر" حيث انطلق في دراسته من الحروف المقطعة أوائل السور واستنتج منها تعظيم العدد 19 وهو العدد الذي تعظمه فرقة البهائية التي ينتسب إليها، كما وصل إلى نتائج خطيرة منها زعمه معرفة موعد القيامة وأنها ستقوم سنة 1710 للهجرة، وأمثالها هذه التجاوزات المتطرفة. (1)

فهذه الأشياء وأمثالها تشغل الناس عن الغرض الأساس من القرآن الذي هو الهداية وتدخلهم في متاهات التخمينات والتوقعات، وهي من الدخيل لا محالة.

### المطلب الثامن - عدم مراعاة خصوصية الألفاظ المضافة إلى الله ﷻ

الله سبحانه وتعالى خالقنا منزل القرآن من صفاته القطعية المجمع عليها مخالفته للحوادث فكل ما نسب إليه في القرآن لا يجوز أن يحمل على ما يكون من صفات الخلق أو ما يشبه صفاتهم وخصائصهم وهذا من أخطر أنواع الدخيل الذي كان سببه الرأي المذموم ومن أمثلة ذلك ما ذكره بعضهم في تفسير قوله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾

فقال في تفسير استوى على العرش: (يعنى استقر على العرش). (2) ومعلوم أن الاستقرار من صفات الحوادث فينزه عنه الله تعالى؛ لأنه يدل على احتياجه إلى المكان والحيز، وأيضاً فهذا يدل على أنه ما كان بهذه الحالة ثم صار بهذه الحالة، وذلك يوجب التغير وأيضاً الاستواء ضد الاعوجاج فظاهر الآية يدل على أنه كان معوجاً مضطرباً ثم صار مستوياً وذلك كله على الله محال. (3)

### المطلب التاسع - عدم احترام جانب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

الرسول عليهم صلوات الله تعالى وسلامه لهم علينا واجب التوقير والاحترام، وقد جاءت أخبارهم في القرآن العظيم وعلى رأسهم خاتمهم سيدنا محمد ﷺ والألفاظ المنسوبة إليهم يجب الانتباه إليها عند

(1) - راجع: إعجاز القرآن الكريم، ص 833 وما بعدها، تأليف الدكتور محمد صادق درويش، طدار الإصلاح، الأولى سنة 2009، دمشق.

(2) تفسير مقاتل بن سليمان 109/2، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، المتوفى سنة 150هـ، طدار الكتب العلمية - الأولى، بيروت - 1424 هـ - 2003 م.

(3) - راجع: مفاتيح الغيب، 186/18.

التفسير؛ وذلك لأن أنبياء الرحمن لهم أحكام خاصة دلت عليها قواطع الشريعة قرآناً وسنة؛ فينبغي فهم الآيات على هدي الثابت المستقر في أحكام العقيدة والشريعة، فيحال متشابه تلك الآيات إلى محكمها ومجملها إلى مبينها، فالتفسير لا يعتمد على مجرد اللغة فقط؛ بل هناك اعتبارات أخرى تجب ملاحظتها والعناية بها، فإذا كان له أكثر من احتمال وجب حمله على أليق المعاني بحق رسل الله صلوات الله تعالى وسلامه عليهم. (1)

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ ﴿۱۰۰﴾ قُمْ اللَّيْلَ إِنَّا قَلِيلًا ﴾ (المزمل 1-2) إذ قال الزمخشري فيها: (كان رسول الله ﷺ نائماً بالليل متزماً في قطيفه فنبه ونودي بما يهجن إليه الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفته واستعداده للاستئقال في النوم ، كما يفعل من لا يهمله أمر ولا يعنيه شأن ..). (2)

قال الإمام الآلوسي رحمه الله بعد أن نقل مقالة الزمخشري تلك: (فإنه تعالى وإن كان له أن يخاطب حبيبه بما شاء لكننا نحن لا نجري على ما عامله سبحانه به بل يلزمنا الأدب والتعظيم لجنابه الكريم ولو خاطب بعض الرعايا الوزير بما خاطبه به السلطان طرده الحجاب وربما كان العقاب هو الجواب ..). (3)

### الخاتمة والتوصيات:

ختاماً لهذا البحث نجد ضوابط دقيقة وواضحة لدى علماء المسلمين في تمييز الدخيل من الأصيل، لكن هذه الضوابط ليست مجموعة في مكان واحد وإن كانت حاضرة في أذهان كثير من المفسرين وعلماء القرآن الكريم ، بل كانت تعتمد على ملكة المفسر سعة علومه ولا سيما علوم الآلة كاللغة ونحوها، ويمكن تلخيصها في أن الأصيل هو ما حقق شروط التفسير المقبول فهو إن كان رواية يشترط فيه الصحة وإن كان رأياً يجب إقامة الحجة عليه مع خلوه من المعارض.

أمّا الدخيل فهو ما اشتبه بالأصيل مما اختل شرط قبوله وإن خُيل للناظر أول وهلة أنه تفسير صحيح، وهناك شعبتان للدخيل الأولى الدخيل من قبل الرواية الإسرائيلية والروايات الموضوعية والواهيية

(1) – راجع: معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني، 369، تأليف د. عبد القادر محمد الحسين، ط. دار الغوثاني، دمشق، الأولى، 2006م.

(2) – الكشاف/4/636.

(3) – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 101/29، تأليف الإمام محمود الآلوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ومن هذا القبيل التفسير المبني على قراءة ضعيفة أو موضوعة، ومن ذلك محاولات تعيين ما أبهمه القرآن من أسماء أعلام ونحوها لعدم الحاجة إليه.

والثانية الدخيل من قبيل الرأي وبابه أوسع بكثير؛ إذ تدخل فيه الأهواء والآراء غير المستندة إلى حجة قوية أو دليل مخالفة السنة الصحيحة الثابتة عن سيدنا رسول الله ﷺ مخالفة الإجماع الخلل في تحكيم العقل - الخطأ اللغوي مخالفة معهود العرب الإلحاد في تفسير القرآن بحمله على غير معناه

أمّا التوصيات فهي:

- 1- ضرورة تتابع الدراسات في هذا الجانب المهم لخطورته.
  - 2- بعض جزئيات البحث تستحق دراسات أكاديمية معمقة مثل معهود العرب، والإلحاد في تفسير القرآن لخطورة هذه القضية وتفشي هذه الظاهرة في بعض الدراسات الموسومة بالمعاصرة وهي التي لا تلتزم بضوابط الشريعة.
  - 3- ضرورة ربط علم الدخيل بعلم الشريعة المعيارية وعلى رأسها علم أصول الفقه وعلوم الحديث.
  - 4- هناك أنماط من الدخيل يمكن أن تُدرس لمتخصصي فروع العلوم الإسلامية لارتباطها بها، وذلك كالمخالفات العقدية أو الفقهية التي ليس من مقاصد هذا الباحث الموجز الخوض فيها، فيمكن لطلاب الدراسات العليا القيام بذلك.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

## المصادر والمراجع

- (1) – اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، تأليف الدكتور محمد إبراهيم شريف، ط دار التراث، الأولى، سنة 1402هـ، 1982 م، القاهرة.
- (2) – الإتيان في علوم القرآن، تأليف الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة 911 هـ، ط مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، الأولى، سنة 1387هـ، القاهرة.
- (3) – الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، الشيخ الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة، ط مكتبة السنة، الرابعة.
- (4) – الإصابة في تمييز الصحابة، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، المتوفى سنة 852هـ، ط دار الجيل، سنة 1412هـ – 1992م بيروت.
- (5) – الأعلام، تأليف خير الدين الزركلي، ط دار العلم للملايين، الخامسة، 1980م، بيروت.
- (6) – الإكسير في علم التفسير، تأليف الشيخ نجم الدين سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري البغدادي، المتوفى سنة 716هـ، ط مكتبة الآداب، القاهرة.
- (7) – أصول السرخسي، تأليف الإمام شمس الأئمة أبي بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي، المتوفى سنة 490هـ، ط دار المعرفة سنة 1372هـ، بيروت.
- (8) – إعجاز القرآن الكريم، تأليف الدكتور محمد صادق درويش، ط دار الإصلاح، الأولى سنة 2009، دمشق.
- (9) – البرهان في علوم القرآن، تأليف الإمام أبي عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، المتوفى سنة 794 هـ، ط، دار المعرفة، سنة 1391 هـ، بيروت.
- (10) – تحفة الفقهاء، للإمام علاء الدين السمرقندي المتوفى سنة 539هـ، ط دار الكتب العلمية، بيروت.
- (11) – التحبير في علم التفسير، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة 911 هـ، ط دار المنار، الأولى، سنة 1406 هـ، القاهرة.
- (12) – التحرير والتنوير، تأليف الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ط دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - 1997 م.
- (13) – التفسير والمفسرون، تأليف الدكتور محمد حسين الذهبي، ط مكتبة وهبة، السابعة 1421هـ.
- (14) – الجامع الصحيح للإمام محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة 256هـ ط دار ابن كثير - اليمامة، الثالثة، 1407 هـ، بيروت.

- (15) - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تأليف الإمام أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي، المتوفى سنة 463هـ، ط مكتبة المعارف، سنة 1403هـ، الرياض.
- (16) - الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تأليف الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة 911هـ، ط دار الفكر، بيروت.
- (17) - الذخيرة، تأليف الإمام شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، ط دار الغرب، 1994م، بيروت.
- (18) - الرسالة، للإمام الجليل أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، المتوفى سنة 204هـ، مطبوع سنة 1358هـ، القاهرة.
- (19) - الفوز الكبير في أصول التفسير، تأليف شاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي المتوفى سنة 1176هـ، ط دار قتيبية، 1409-1989م، دمشق.
- (20) - القاموس المحيط، للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي الشيرازي، المتوفى سنة 817هـ ط الهيئة المصرية للكتاب، 1977م.
- (21) - الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى سنة 538هـ، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- (22) - السراج الوضاء في بيان الصحيح من أقوال العلماء في قصص الأنبياء، تأليف الشيخ عبد الهادي الخرسنة، ط الأولى 1431هـ - 2010م دمشق.
- (23) - كتاب العين، المنسوب للإمام أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة 175هـ، ط مؤسسة دار الهجرة، الثانية، سنة 1409هـ.
- (24) - مناهل العرفان في علوم القرآن، تأليف الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، ط دار الفكر، الأولى سنة 1996م، بيروت.
- (25) - نقد التفسير العلمي والعددي المعاصر للقرآن الكريم، تأليف الدكتور أحمد الفاضل، ط دمشق.
- (26) - المستدرک علی الصحیحین، للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المتوفى سنة 405هـ، ط دار الكتب العلمية سنة 1411هـ 1990م بيروت.
- (27) - الموافقات في أصول الشريعة، للإمام إبراهيم بن موسى اللخمي الفرناطي الشاطبي المالكي المتوفى سنة 790هـ، ط دار المعرفة، بيروت.
- (28) - الموقع الرسمي للدكتور محمد شحرور على الشبكة الدولية: [www.shahrour.org](http://www.shahrour.org).

- (29) – تاج العروس من جواهر القاموس، للإمام محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، المتوفى سنة 1205 هـ، ط المطبعة الخيرية، سنة 1306 هـ، القاهرة.
- (30) – تفسير البحر المحيط، تأليف تأليف الإمام أبي حيان الأندلسي المتوفى سنة 745 هـ، ط دار الفكر، بيروت.
- (31) – تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، المتوفى سنة 150 هـ، ط دار الكتب العلمية – الأولى، بيروت - 1424 هـ - 2003 م.
- (32) – تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، تأليف الشيخ مصطفى عبد الرازق، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، الثالثة، القاهرة.
- (33) – جامع البيان جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة 310 هـ، ط دار الفكر سنة 1405 هـ.
- (34) – حاشية رد المحتار على الدر المختار، تأليف الإمام المحقق محمد أمين عابدين، المتوفى سنة 1250 هـ ط دار الفكر، 1421 هـ بيروت.
- (35) – دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس المتوفى سنة 728 هـ، ط مؤسسة علوم القرآن، سنة النشر 1404 هـ، دمشق.
- (36) – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 101/29، تأليف الإمام محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- (37) – سنن الإمام أبي داود، للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، المتوفى سنة 275 هـ، ط دار الفكر.
- (38) – سنن الإمام الترمذي، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، المتوفى سنة 261 هـ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت.
- (39) – شرح الولدية في آداب البحث والمناظرة، تأليف السيد عبد الوهاب بن حسين بن ولي الدين الأمدي، ط مصطفى البابي الحلبي، الأخيرة، سنة 1380 هـ، القاهرة.
- (40) – صحيح ابن حبان، للإمام أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي المتوفى سنة 354 هـ، ط مؤسسة الرسالة، الثانية 1414 هـ 1993 م، بيروت.
- (41) – علوم القرآن الكريم، تأليف الدكتور نور الدين عتر، ط مطبعة الصباح، السادسة، سنة 1416 هـ، دمشق.
- (42) – كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، تأليف الإمام محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي، المتوفى سنة 792 هـ، ط دار الفكر، بيروت.

- (43) — لسان العرب، للإمام محمد بن مكرم بن منظور المتوفى سنة 711هـ، ط أدب الحوزة، إيران سنة 1409هـ.
- (44) — مجموع الفتاوى، لأبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحراني، المتوفى سنة 728هـ، ط الرياض.
- (45) — معالم التنزيل، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، المتوفى سنة 516هـ، ط دار المعرفة، الثانية، سنة 1407هـ/1987م، بيروت.
- (46) — معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني، 369، تأليف د. عبد القادر محمد الحسين، ط دار الفتواتي، دمشق، الأولى، 2006م.
- (47) — مفاتيح الغيب، تأليف الإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي المتوفى سنة 606، ط دار الكتب العلمية، الأولى، بيروت - 1421هـ - 2000 م.
- (48) — مقدمة ابن خلدون، تأليف الإمام عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، المتوفى سنة 808 هـ، ط دار القلم، الخامسة، سنة 1984 م بيروت.
- (49) المغني، تأليف الإمام عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبي محمد، ط دار الفكر - بيروت الطبعة الأولى، 1405هـ.
- (50) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، تأليف العلامة الشيخ مصطفى صبري، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- (51) — نقد الخطاب الديني، دكتور نصر حامد أبو زيد، ط مكتبة متبولي، الثالثة، سنة 1995 م القاهرة.
- (52) — هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، تأليف اسماعيل باشا البغدادي ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.